سأُوا عليك سيوف العدل مرهفةً ... كانها شهبٌ في الافقِ او رُجُمُ
شقوا بها في جلابيب الدجى شفقاً ... بشّت لهُ الارضُ واخجلت بهِ الظلمُ
وطالبوك بحق كنت هاضمهُ ... وحاكموك الى النّار واختصموا
فادوا بارواحهم حبّاً بانتهم ... فلهي تلك السجايا الغرُّ والشيمُ
قد كان ما كان والرحمان ناصرنا ... فالعدل منتصر والجور منهزمُ
دبّرت لفتنة سوء تستعيد بها ... من مجدك الباطل الغرّار ما هدموا
مجد كبير طوتهُ ظلمة كثفت ... ثمّ انجلت فاذا ما تحتها رَمَمُ
كرّوا بعزمة حرّ جاء منتصراً ... لنفسهِ واستباحوا منك ما استرموا
فانزلوك عن العرش الرفيع وما ... كانوا يريدونها لكنهم رُغموا
تأبى الشريعة ان تبقيك حافظها ... وانت بالغدرِ والإغواء متّهمُ
هبطت من قمة الامجاد منحدراً ... كصخرةٍ حطّها من شاهق عرمُ
ففي هبوطك عاد الملك مرتفعاً ... وفي تولّيك كل الخلق قد سلموا
كانت بآبائك الاقدار عابسةً ... فاصبحت بعدما ادبرت تبتسمُ

دمشق ٥ مايو سنة ١٩٠٩ (ف)

الباب الرابع عشر

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(١٤)

زراعة قصب السكّر

تصلح اراضي مصر جميعاً لزراعة قصب السكّر. غير ان ما تقتضيهِ زراعتهُ من كثرة العناية والاهتمام يحصرها في ايدي فئة صغيرة من الاهالي أخصّهم متيم في نواحي فرشوط واخميم من مديرية جرجا حيث مركز هذه الزراعة. أمّا ما يزرع من قصب السكّر في غير هذه المديرية فلا يستخرج منهُ السكر بل يباع في الاسواق أخضر او يطحن يصير معمًّا. وتقوم زراعتهُ بحرث الارض اولاً في شهر مارس اربع مرّاتٍ او خمساً حرثاً متقاطعاً

وبعد ذلك يخطون فيها اثلاماً متحاذية يلقون فيها قطعاً من قصب السكر الاخضر يغطونها بطبقة من التراب على علو عقدتين او ثلاثا ثم يسقونها بالساقي بمعدل ساقية مجهزة باثني عشر ثوراً لكل ستة افدنة . لانهُ يلزم ثوران لسقي الفدان . ويستمر السقي بلا انقطاع احد عشر شهراً الى حين الجني

وعندما يدرك القصب يقطعونهُ قرب الارض فيستخدمون ٤ فعلة لقطع مزروعات الفدان في اسبوع

وتفرخ اصول القصب التي تبقى في الارض فيأخذون منها "تقاوي" السنة التالية

وتبلغ غلة الفدان ٢٠ قنطاراً سكراً و١٢ قنطاراً من عسل السكر . ويباع قنطار السكر الذي وزنهُ ١٠٥ اوطال بين ٣٢ فرنكاً و٣٨ فرنكاً وقنطار العسل بثمنية فرنكات

اما كيفية صنع السكر فسيأتي وصفها في الكلام عن الصنائع

(١٥)

زراعة التبغ

أكثر ما يزرع التبغ في الوجه القبلي . ليزرعوهُ هناك على أثر انحسار مياه الفيضان ولا يعود من ثمَّ داعٍ للاهتمام بهِ . وقد يزرعونهُ في الربيع فتقتضي الحال اعداد الارض بالحرث مرةً او مرتين قبل زرعهِ

ويزرعون في القيراطين من الفدان نحو من الاردب بزراً (تقاوي) وبعد ٤٠ او ٥٠ يوماً يزهر النبات ويشتد فيقتلعونهُ ويغرسونهُ في أجود ارض بعد اعدادها بالحراثة المتقاطعة مرتين في حفر يبعد بعضها عن بعض ثماني بوصات وعمقها ثماني بوصات ايضاً ويجزئونها على مقربة من الارض بعد شهرين ونصف من غرسها فتفرخ فيعيدون جزها بعد إفراخها بثلاثين يوماً

وبعد قطع سوق النبات ينزعون عنها الورق ويعرضونهُ للجفاف في الشمس ثمانية ايام ثم يحفظونهُ زمناً مغطىً بالحصر وفي النهاية يزمونهُ رزماً فيصير صالحاً للبيع

وفي جميع بلاد الريف في الصعيد لا يستعملون تبغاً غيرهُ

ويجنون من الجزَّة الاولى نحو ٢٠ رزمة جافة من كل فدان تزن الواحدة منها نحو ٤٠ رطلاً ومن الجزَّة الثانية نحو عشر رزم . ويباع القنطار من الاولى بنحو عشرة فرنكات ومن الثانية بنحو سبعة فرنكات

(١٦)

زراعة الورد

تجارة ماء الورد قاصرة على مديرية الفيوم التي يرد منها كل ما يستعمل من ماء الورد في القطر المصري

واكثر ما يزرع من الورد في ضواحي مدينة الفيوم حيث يستخرجون ماءهُ . فيمدّون الارض في الشتاء بالحرث عدّة مرات ثم يقسمونها الى مربعات صغيرة يزرعون فيها فسائل الورد على ابعاد نصف متر بعضها عن بعض ويسقونها مرة كل ١٥ يوماً على مدار السنة

ويجنون الزهر اثناء شهر ابريل واوائل مايو في كل صباح . ويستقطرونهُ بالانبيق في مكانهِ . والغالب انهم يجنون الورد في السنة الثانية من غرسهِ حتى السنة الخامسة وبعد ذلك يجدّدون غرسهُ

ومعدل جنى الفدان ثمانية قناطير زهراً يباع القنطار منهُ بين ٢٠ فرنكاً الى ٣٦ فرنكاً

(١٧)

زراعة النخل

النخل من اهم اشجار القطر المصري . وتمتد زراعتهُ من اسوان الى شاطىء البحر المتوسط . غير انهُ يكثر على الخصوص في ضواحي مدينة منفيس القديمة (جهات البدرشين وميت رهينة) التي تموّلت الى غابة منهُ . وفي شرقي بلبيس حيث بلدة الصالحية . وفي اللسان الفاصل بين بحيرة البرلّس والبحر المتوسط

ويزرعون نوى النخل إمّا في مزارع خاصة ينقلون منها "شتلهُ" بعد بضعة سنين الى حيث يراد غرسهُ واما في اماكن يتخيرونها لزرعهِ نهائيًّا . وفي كلتا الحالتين يزرعون النوى في حفر عمقها نحو ١٥ سنتيمترًا يروونها بالماء فتفرخ بعد ٤٠ يوماً او ٥٠

وعند ما تبلغ شجرتهُ سنتها الخامسة يشرعون في قطع سعفها ويكررون ذلك سنةً فسنةً ويبتدئ جني النخل المغروس غرساً بعد ٦ سنوات الى ٨ من غرسهِ وجني المزروع زرعاً بعد نحو ١٠ سنين من زرعهِ

غير انهُ لا بد من تلقيح اعذاق اناث شجر النخل سنويًّا فيضعون شيئاً من زهر أثناء ذكورهِ بين زهر اقناء اناثهِ فيتلقّح ويثمر . ومعدل ربح النخلة سنويًّا في الصعيد بين اربعة فرنكات وسبعة فرنكات . ومعدل عمرها بين ٨٠ سنة و ١٠٠ ولكني لست واثقاً من صحة ذلك لعلي ان معظم من شافتهم فيهِ يجهلون ازمنة مواليدهم

وينبع البلح طريًّا وعجوةً وعجوةً وربيعاً في الوجه البحري يأتي ربيعهُ في العميد بوجه التقريب . ويُقبل الاهالي على زراعة النخل اولاً لكثرة فوائده اذ انهم يصنعون منهُ مشروباً متعددة من العجوة والمكرات والسكرات وينتفعون بأخشابهِ والياقهِ في البناء والنجارة وصناعة الحبال وغلافها . وثانياً لان الحكومة تشجعهم على زراعتهِ باعفائهِ من الضرائب على حين انها تجبي الخراج على سائر المزروعات

(١٨)

زراعة الكرم

يعتبرون الكرم في مصر بعد النخل في اهميتهِ وهو يزرع في جميع البساتين الخاصة غير ان الفيوم تعدّ موطن زراعتهِ وبستوعات جهات البرلس . فينبع عنب الفيوم في القاهرة واعمالها وعنب البرلس في الاسكندريَّة ورشيد ودمياط

ويزرعون الكرم فسائل يغرسونها في الارض بعد اعدادها جيداً لهذه الزراعة ويسمدونها بزبل الحمام . وتقى على جنباتهِ يعرّشونها على عوارض خشبية مستندة على قوائم عموديَّة فتتخذ شكل العريش

وفي الفيوم من البساتين اكثر مما في سائر جهات مصر لان اهاليها يزرعون انواعاً مختلفة من الاشجار المثمرة كالكمثرى والمشمش والزيتون والتين وغلافها

ويزرع في كثير من انحاء مصر البرتقال والرمان والليمون الحامض (الملح) وخصوصاً في ارباض الاسكندريَّة ورشيد والقاهرة والجيزة حيث تكثر البساتين الخاصة بذوي اليسار . ونخصّ بالذكر جزيرة فاروس (الفنار) القديمة التي تسمى الآن جزيرة التين (راس التين) لكثرة هذا النوع من الشجر فيها وشدة خصبهِ ويقال على الجملة ان الاشجار المثمرة قليلة في مصر والاشجار الغابيَّة مفقودة منها . غير انهُ يكثر فيها شجر الجميز حتى لاتكاد ترى ساقية لا تستظل بظلهِ . وفضلاً عن ذلك فانهم ينتفعون بأخشابها لبناء القوارب وعمل جسور البيوت

مزايا القطن المصري وعيوبهُ

قرأنا للمستر لورانس برلس نباتي الجمعية الزراعيَّة الخديويَّة بحثاً مستفيضاً عن القطن المصري في كتاب الجمعية السنوي وصل فيهِ الى هذه النتيجة وهي انهُ يمكن ان يزيد ثمن محصول القطن المصري زيادة كبيرة جدًّا من غير ان تزاد زراعتهُ مساحةً وذلك بان يختار

مقدار من التقاوي من اجود اصناف القطن المصري التي تقرب من الكمال ويزرع سنتين متواليتين ويختار من اشجاره ما تظهر فيه اتم الخواص حسب ناموس سدل الوراثي وتزرع التقاوي منهُ في مكانين او ثلاثة امكنة من القطر. ويجب ان يفصل كل مكان منها عمَّا حولهُ بحيث لا تصل اليهِ الحشرات الكبيرة كالنحل لئلاَّ تنقلهُ من لقاح قطن آخر. ويكرَّر زرعهُ هناك من تقاويهِ نفسها منفصلاً عن غيرهِ. ومن المحتمل ان التقاوي التي تؤخذ من الزراعة الاخيرة تثبت الصفات الجيدة فيها اربع سنوات متوالية فلا يحتاج الزارع ان يعود الى التقاوي النقية الاَّ في السنة الخامسة. ولا بدَّ من ان يكون في البلاد مكان معد لتوليد التقاوي النقية دائمًا

ولقد كان للقطن المصري مزيَّة مهمة وهي صلاحهُ لعملية المرسرة التي يصير بها كالحرير ولكن هذهِ العملية قد اتقنت الآن فصار يمكن استعمالها لغير القطن المصري فلم يعد ممتازًا بها. وكانت شعرتهُ طويلة دقيقة متينة فلم تعد كلها كذلك فاذا فقد المزايا التي تميزهُ عن القطن الرخيص هبط ثمنهُ حتمًا ومن ذلك خسارة لا تقدر على القطن المصري

ولم نرَ في ما كتبهُ المستر بولس دليلاً مقنعًا على انهُ اهتدى الى طريقة اصلاح القطن المصري او ارجاع المزايا الجوهرية اليهِ لان تجاربهُ لم تنتج دائمًا نتيجة واحدة ولكن اسلوبها معقول وناموس سدل الوراثي محقق وقد يمكن منع العوارض التي تقاومهُ وتمنع فعلهُ او تضعفهُ. والمسألة حرية بالبحث ويجب ان لا تبخل الحكومة بما يلزم لها من النفقات حتى اذا ثبت انهُ يمكن اصلاح نوع القطن وارجاع المزايا الجوهرية اليهِ فاقل ما يطلب منها ان تتولى اصلاح التقاوي اللازمة للقطر كلهِ فاذا فرضنا مساحة الاطيان التي تزرع قطنًا مليونًا ونصف مليون من الافدنة ولزم لفدان منها ست كيلات فالتقاوي اللازمة للاطيان كلها تساوي محصول سبعين الف فدان بزرةً ولا يصعب على الحكومة ان تختار من اطيانها الخصوصية واطيان الدومين ٢١٠٠٠٠ فدان وتزرع ثلثها كل سنة قطنًا منتقًى وتبيع بزرتهُ للزارعين تقاوي. واهتمامها بهذا الامر يجب ان لا يقل عن اهتمامها بالترع والمصارف وماء الري اذا كانت جودة الموسم تتوقف على جودة تقاويهِ لان في المسألة فرقًا يبلغ بضعة ملايين من الجنيهات كل سنة بين زيادة في ثمن المحصول او نقص في ثمنهِ

حقائق في زراعة القطن

قال الدكتور دبني رئيس مدرسة تنسي الجامعة في مقالة عن الزراعة الاميركية

نشرت في الطبعة الحديثة من الانسكلوبيذيا البريطانية ان القطن ابن الشمس ومحصول الفدان منهُ في المكان الواحد اقل احتلافاً سنة بعد سنة من غيرهِ من المزروعات . اي ان المقدار المعلوم من نور الشمس يجني مقداراً مناسباً لهُ من القطن . فمحصول القطن متوقف على مقدار ما يصيبهُ من نور الشمس مدة اقامتهِ في الارض ولكن لا بدَّ من نسبة معلومة في توزع الحرارة والدور مدة الشهور التي يقيم فيها في الارض اي من الربيع الى الخريف ولا بدَّ لهُ من ستة اشهر الى سبعة يكون الطقس فيها مناسباً لهُ . وهو يجود معها اشتدَّ الحر اذا كان الهواء رطباً مع حرارتهِ ولا بدَّ لهُ من الري المتزايد مدة نموهِ

وهو يجود في انواع مختلفة من الاراضي في المنطقة المناسبة لزراعتهِ من الرملية الخفيفة الى الطينية الثقيلة فاذا كانت الارض خفيفة وطبقتها السفلى رملية كانت شجرات القطن صغيرة ولكنها تكون كثيرة اللوز واذا كانت الطبقة السفلى طفالية كانت الشجرات كبيرة ولكن لوزها يكون قليلاً وخير الاراضي الطينية المتوسطة بين الرملية والطفالية التي تصرف صرفاً جيداً

والارض التي تصلح لزراعة القطن في المنطقة التي يزرع القطن فيها باميركا واسعة جداً تبلغ عشرة اضعاف الاراضي التي يزرع القطن فيها الآن . فاذا زرعت كلها انتجت عشرة اضعاف ما تنتج الآن من القطن ولكن قلة وجود العمال تمنع التوسع في زراعتهِ فان اجرة العمال تبلغ ٥٤ في المئة من مجموع المصاريف اللازمة لهُ . ويقتضي لكل ثلاثة قناطير من القطن نفر واحد من السكان وعدد سكان الولايات التي تزرع القطن ١٥ مليوناً فيسهل عليهم ان يزرعوا ما يبلغ محصولهُ ٤٥ مليون قنطار او نحو ١١ مليون بالة اميركية . وقد اهتدوا الى وسائل كثيرة لتسهيل الخدمة فصار يمكنهم ان يقوموا بزراعة اكثر من ذلك

وقد بحثت الحكومة الاميركية عن مصاريف زراعة القطن سنة ١٨٩٧ فوجدت ان مصاريف الفدان من الابذر ١٥ ريالاً و ٤٢ سنتاً وايراد الفدان ١٩ ريالاً و ٣ سنات فالربح من الفدان الواحد ٣ ريالات و ٦١ سنتاً (اي ٧٢ غرشاً) . وان متوسط محصول الفدان ٢٥٥ رطلاً و ٦ اعشار الرطل من القطن الشمر و ١٦ بشلاً (نحو ثلاث ارادب) من البزرة ومتوسط ثمن الرطل من القطن الشمر ٦٫٧ سنت ومتوسط ثمن البشل من البزرة ١١٫٩ سنت ومتوسط اجرة جمع المئة رطل من القطن نحو ٩ غروش ومتوسط مصاريف القنطار من القطن الشمر في الولايات كلها خمسة ريالات و ٢٧ سنتاً . وسنة ١٨٩٦ ربح ثمانون في المئة من زارعي القطن وخسر عشرون في المئة

وقد تحسن نوع القطن الاميركي كثيرًا بتحسن خدمته فقد كان في كل مئة رطل من القطن والبزرة ٣٥ رطلاً من القطن الشعر و٧٥ رطلاً من البزرة ثم زاد مقدار الشعر (اي التصافي) رويدًا رويدًا حتى بلغ الآن ٤٠ رطلاً من القطن الشعر و٦٠ من البزرة (لو بلغ القطن المصري هذا المبلغ لكان تصافي القنطار ١٣٦ رطلاً من القطن الشعر وهو قلما يزيد الآن على ١٠٦ ارطال) وكان طول الشعرة ستة عشرين الى ثلاثة فصار الآن خمسة وثلاثين الى ستة في اجود الانواع. ولكن الانواع التي بلغت هذا الحد من كثرة التصافي وطول الشعرة قليلة جدًا والغالب انهُ اذا طالت الشعرة لم يكثر التصافي واذا كثر التصافي قصرت الشعرة واذا بلغ القطن الامريكي معًا اي كثرت تصافيهِ وطالت شعرتهُ فانهُ يخسر هذه الصفات سريعًا والقطن من النباتات التي تؤثر فيها الخدمة والسماد كثيرًا فيمكن تنويعهُ بسهولة وقد ثبت انهُ اذا اختيرت التقاوي من اللوزات التي تفتح باكرًا صار القطن الناتج منها طويل الشعر الاَّ ان النوع الذي يزيد حملهُ كثيرًا تضعف قوتهُ الحيويَّة

وكانت العادة ان تؤخذ التقاوي من وابورات الحلاجة اما الآن فينقش عن الاشجار التي تظهر فيها احسن الصفات وتؤخذ التقاوي من بزرتها. والمراد اختيار الاصناف الكثيرة التصافي التي شعرتها طويلة ودقيقة

خنّاق القطن

من الآفات التي تصيب القطن في القطر المصري مرض فطري يقع بجذر النبات عند اول ظهوره فيضعفهُ او يميتهُ وتدعو الحال الى كثرة ترقيع القطن وقد اطلق الفلاحون على هذه الآفة اسم خناق القطن. وقد اهتمت الجمعيَّة الزراعية الخديوية بالبحث عن سبب هذه الآفة والعلاج الشافي منها فوجدت ان سببها مادة فطرية كما تقدَّم وانهُ يمكن منع هذه الآفة بمزج تقاوي القطن قبل زرعهِ بالنفتالين وهو مادة كيماوية قوية الرائحة جدًّا تراهُ قشورًا دقيقة بيضاء يباع الرطل منهُ بنحو غرشين ويمزج بالجبس وثمن الرطل من الجبس نصف غرش ويضاف هذا المزيج الى البزر ويخلط بهِ جيدًا فلا يعود المرض الفطري المشار اليهِ يظهر فيهِ الاَّ نادرًا وتبلغ مصاريف معالجة تقاوي الفدان اربعة غروش اذا اشترى النفتالين بمقادير كبيرة. ويحسن بالذين يبيعون التقاوي ان يخلطوها بحوق النفتالين والجبس على ما تقدم ويلزم لكل التقاوي التي تزرع في القطر المصري سنويًا نحو ٩٠٠ طن من النفتالين